مُشكلة الفقر وعلاجها في القرآن الكريم

■■ تؤكد الدراسة على أن مشكلة الفقر وغيرها من مشكلات العالم لا علاج لها إلا بالإسلام ، فرغم أن الفقر مشكلة قديمة ، كانت ولا تزال هي الشغل الشاغل للبشرية ، ورغم جهود المصلحين والمفكرين لإيجاد حل لها إلا أن المشكلة لا تزال قائمة والسبب في ذلك يرجع إلى عدم الالتزام بالتشريع الإسلامي والرجوع إليه في هذا الشأن .

وقد قسمت الرسالة إلى أربعة أبواب :

تناول الباحث في الباب الأول أسباب الفقر ونتائجه ، وفي الباب الثاني بَيَّنَ موقف البشر والأنظمة المختلفة من مشكلة الفقر .

أما الباب الثالث فتعرض فيه إلى موقف الديانات من المشكلة ، وأخيراً يأتي الباب الرابع بالحل للمشكلة موضحاً الوسائل التي يتبعها الإسلام لعلاج الفقر ■■

مقدمة الرسالة . . .

عرض الباحث في مقدمة رسالته لمشكلة الفقر فذكر أن المجتمعات تتعرض لعديد من المشكلات التي تشغل بال الأفراد والجماعات ورجال الإصلاح ، وأشد هذه المشكلات ضرراً وأعظمها خطراً هي مشكلة الفقر لأنها هي أساس جميع المشكلات الأخرى ، ولأن الفقر كما يقول الباحث هو السبب الرئيس لتدهور المجتمعات وتفشي المذاهب الهدامة فيها .

ثم يعرف الباحث الفقر فيقول :

إن هناك تعريفاً لغوياً للفقر وآخر شرعياً .

أما الفقر في اللغة :

فهو عدم كفاية المال أو قلته بحيث لا يكفي حاجة الإنسان المعيشية .

وأما الفقر في الشرع :

فقد اختار الباحث تعريف الإمامين مالك والشافعي اللذين ذهبا إلى أن حد الفقر شرعاً هو أن لا يملك الإنسان ما يكفيه من المال .

بينما ذهب ابن المبارك والثوري :

من أسباب الفقر :

- **الكسل والجهل والتبذير .. وقلة الإنتاج وسوء التوزيع وعدم تنظيم وسائل الإحسان ..**
- **الزلازل والفيضانات والأوبئة .. أسباب طبيعية للفقر .**

اعداد : صالح سليمان

الباحث في سطور

- هو الدكتور سيد جان بيان والذي ولد عام ١٩٤٠م بمدينة فيض أباد بمحافظة بدخشان بأفغانستان .
- حصل الباحث على الليسانس في الشريعة من جامعة كابول بأفغانستان عام ١٩٦٥م .
- وفي عام ١٩٦٩م حصل على درجة الماجستير من جامعة الأزهر .
- يعمل الباحث في البرامج الموجهة بإذاعة جمهورية مصر العربية .

إلى أن الفقير هو من لا يملك خمسين درهماً أو قيمتها من الذهب .

أسباب الفقر وآثاره الاجتماعية

ويتناول الباحث في الباب الأول أسباب الفقر ، وقد حصرها في ثلاثة أسباب وهي :

١ ـ **الأسباب الذاتية .**
٢ ـ **الأسباب الاجتماعية .**
٣ ـ **الأسباب الطبيعية .**

- **أسباب ذاتية :**

ومن الأسباب الذاتية : الكسل والجهل والإسراف وعدم الاعتدال والتبذير .

- **أسباب اجتماعية :**

أما الأسباب الاجتماعية فمنها : **قلة الإنتاج وسوء التوزيع وشيوع الظلم والحروب ، وعدم استغلال الموارد الطبيعية ، وعدم تنظيم وسائل الإحسان .**

- **أسباب طبيعية :**

ويوجز الباحث الأسباب الطبيعية للفقر في : **الزلازل والبراكين والفيضانات والأوبئة وغيرها مما لا يكون للإنسان دخل في حدوثه .**

ولا شك أن الفقر يعكس نتائجه وآثاره على الفرد والمجتمع على السواء .

نتائج الفقر وآثاره . . .

ويذكر الباحث من نتائج الفقر وآثاره : **ضعف الصحة والجهل والذل والحرمان .**

حيث إن الفقر يذل النفوس ويجعل الفرد يخضع لمن دونه ، ويتغاضى عن الإهانات التي تلحقه ، ويستدل الباحث على ذلك بما جاء في الأثر :

« **لولا أن الله تعالى أذل ابن آدم بثلاث ما طأطأ رأسه لشيء : الفقر والمرض والموت** » ، ويقول **ابن المعتمد** :

« **الفقراء موتى إلا من أغناه الله بعز القناعة** » وها هو **لقمان** يقول لابنه :

« **يا بني استغن بالكسب الحلال فإنه ما افتقر أحد إلا أصابته ثلاث خصال : رقة في دينه ، وضعف في عقله ، ووهاء في مروءته ، وأعظم من هذا استخفاف الناس به** » .

أما الآثار الاجتماعية للفقر فهي : ضعف الكيان الصحي للأمة ، وضعف الروح الدينية ، والحالة العلمية ، وكذلك الحالة المعنوية للشعوب ؛ وقبول المذاهب الهدامة .

مواقف البشر من مشكلة الفقر

يعرج الباحث بعد ذلك إلى الحديث عن موقف البشر تجاه مشكلة الفقر .

وهي تتمثل في ثلاثة اتجاهات ذكرها الباحث في الباب الثاني :

الاتجاه الأول : تقديس الفقر . حيث يرى أصحاب هذا الاتجاه : أن الفقر ليس شراً يطلب الخلاص منه ، ولا يمثل مشكلة تتطلب العلاج .

الاتجاه الثاني : هو الاتجاه الجبري ، ويرى أرباب هذا الاتجاه أن الفقر : قضاء من السماء لا ينفع معه الطب والدواء . ويدعون الفقراء إلى أن يرضوا بالقضاء ويصبروا على البلاء .

الاتجاه الثالث : وهو اتجاه دعاة الإحسان الفردي ، وهذه الطائفة ترى : أن الفقر شر وبلاء ، وتعتبره معضلة تستوجب الحل ، وهم لا ينصحون الفقراء فقط بالرضى والقناعة ، ولكنهم يدعون الأغنياء إلى البذل والإحسان والتصدق على الفقراء .

موقف الرأسمالية والاشتراكية

يعتقد أصحاب المذهب الرأسمالي : أن الفقر آفة من الآفات ، وأن سبب المشكلة هم الفقراء أنفسهم فقط ؛ فقضية الفقر لدى أصحاب هذا المذهب هي أساساً قضية قلة الإنتاج .

أما الاشتراكيون فهم على عكس الرأسماليين يرون : أن سبب الفقر هم الأغنياء أنفسهم ؛ باستئثارهم دون الأغلبية الكادحة لخيرات المجتمع ؛ فقضية الفقر في نظرهم هي أساساً قضية سوء التوزيع ، ويرون أن القضاء على الفقر لا يتحقق إلا بالقضاء على الأغنياء ، ومصادرة ثرواتهم ، وحرمانهم من أموالهم ، وإيقاد نيران الصراع بين الطبقات .

رد الإسلام على هذه الاتجاهات

يقول الباحث : **إن الإسلام لا يوافق على الاتجاهات التي ذهبت إليها النظريات والمذاهب الوضعية ؛ فهو يرفض النظر إلى الفقر على أساس أنه ليس شراً ، بل ويدعو إلى الاستعاذة منه ، ويقدم الوسائل لعلاج هذه المشكلة .**

كما أن الإسلام وإن كان يلتقي في دعوته مع الداعين إلى الإحسان الفردي ، إلا أنه لا يقتصر على الحقل التطوعي ، حتى لا يظل الفقراء تحت رحمة الأغنياء .

ويكشف الباحث عن حقيقة هامة ، وهي : أن النظام الشيوعي إذا كان

مُشكلة الفقر

يحارب الغنى ويعمم الفقر ، والنظام الرأسمالي يحبذ الغنى المطغي دون علاج للفقر ؛ نجد الإسلام هو أول دعوة قررت أن الفقر مشكلة اجتماعية خطيرة ، ونظرت إليها من جانب آثارها الاجتماعية ؛ فالإسلام فلسف الفقر فلسفة اجتماعية على لسان الإمام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه ، وذلك في قولين مأثورين وهما :

« ما جاع فقير إلا بما منعه غني »
و « ما رأيت نعمة موفورة إلا إلى جانبها حق مضيع » .

فمشكلة الفقر في الإسلام في محصلتها النهائية هي : مشكلة الإنسان نفسه ، وفساد نظامه الاقتصادي ، سواء من حيث ضعف الإنتاج أو سوء التوزيع .

ومن هنا يدعو الإسلام إلى تنمية الإنتاج مع عدالة التوزيع ، وأن أحدهما لا يغني عن الآخر .

الفقر في الديانات الأخرى . . .

يتناول الباب الثالث من الدراسة موقف الديانات السماوية السابقة للإسلام ، وفي هذا الباب يقول الباحث : إن الديانة اليهودية تعترف بأن الفقر ظاهرة طبيعية لا سبيل إلى القضاء عليها ، ولكنها تعالج آثار ذلك وتقدم النصائح والمواعظ دون إلزام عن طريق الثواب والعقاب .

أما النصرانية فهي تعنى بالناحية الروحية ، ولا تتعرض في هذا الشأن لمسائل القانون والسياسة والاجتماع .

ويقارن الباحث بين الحلول القرآنية والكتب السماوية الأخرى ، فيؤكد على أن الديانتين اليهودية والنصرانية **تكتفيان بإسداء النصائح والمواعظ للأغنياء والفقراء** ، وهي صورة تفقد عنصر الإيجاب والإلزام ، حيث فوضت التصديق والإحسان إلى ضمائر الأشخاص ولم تجعل للدولة سلطة عليهم في التحصيل ، وكذلك لم تحدد هذه النصوص المال الذي تجب فيه الصدقة .

أما عناية الإسلام بعلاج الفقر ورعاية الفقراء ، فلم يسبق له مثيل في أي دين سماوي ، ولا أي قانون وضعي ، ولا مذهب بشري ، سواء ما يتصل بناحية التربية والتوجيه ، أو ما يتصل بجانب التشريع والتنظيم ، أو ما يتصل بجانب التطبيق ، وهو ما يوضحه الباحث في تتبعه لمنهج الإسلام في علاج الفقر .

منهج الإسلام في علاج الفقر

يكشف الباحث عن منهج الإسلام في علاج الفقر ، وهو المنهج الذي غاب عن أذهان الباحثين والمهتمين بعلاج هذه المشكلة ، ويأخذ هذا المنهج ثلاثة اتجاهات :

● **أولاً :**

إن الإسلام لم ينظر إلى مشكلة الفقر على أنها مشكلة قائمة بذاتها ، أو منفصلة عن غيرها من أمور الحياة ، وإنما نظر إليها في ضوء اتصالها بما سواها ، ومن ثم كان علاجه لها جزءاً من معالجته الشاملة السليمة لبقية مشاكل الحياة مجتمعة .

● **ثانياً :**

لم يكتف الإسلام بمجرد إسداء النصائح وإعطاء الوصايا الأخلاقية للأغنياء والفقراء مثل ما فعلت الديانات السابقة ، بل إن الإسلام فاجأ العالم للمرة الأولى في الحياة البشرية بإيجاب فريضة الزكاة أو ضريبة الفقراء ، فقرر بالتشريع حق الفقراء في أموال الأغنياء حقاً معلوماً محدداً .

● **ثالثاً :**

حدد الإسلام بالتشريع كذلك وسائل حماية هذا الحق ، على نحو يكفل وصوله إلى أصحابه على أفضل وجه ، وناط تلك الحماية بالدولة التي ترهب المسيئين ، وتأخذ على أيدي الظالمين .

ومن هنا كانت تشريعات الإسلام وتوجيهاته في مكافحة الفقر ومعالجة أسبابه متماسكة كالبنيان يشد بعضه بعضاً .

من علاج الإسلام للفقر :

- **زيادة الإنتاج وإعادة التوزيع دعوة إسلامية منذ أربعة عشر قرناً .**
- **الإسلام فاجأ العالم للمرة الأولى بإيجاب فريضة الزكاة أو ضريبة الفقراء .**
- **النفقة على الأقارب معالجة اجتماعية للفقراء تفرد بها الإسلام .**

الحل الإسلامي للمشكلة . .

وبعد استعراض الباحث لمشكلة الفقر وطرح أسبابها ، والحلول التي قدمتها الديانات السابقة والنظريات الوضعية ، يطرح في نهاية رسالته الحل الإسلامي لهذه المشكلة ، والتي تعتبر الآن هي الشغل الشاغل للحكومات والأفراد والجماعات ، والتي لم تفلح معها نظريات شرقية ولا غربية .

يقول الباحث : **إننا إذا استقصينا ما نزل من الآيات القرآنية ، وما ورد من أحاديث نبوية في الصدقات والبر ، لحسبنا أن الرسالة الإسلامية لم يبعث الله بها محمداً ﷺ آخر الزمان إلا لينقذ البشرية من براثن الفقر وغوائل الجوع .**

فالإسلام يحارب الفقر حرباً شعواء لا هوادة فيها ، وهو يضع لذلك الأسلحة والوسائل .

ويقسم الباحث هذه الوسائل إلى نوعين :

- **أولاً** : وسائل وقائية .
- **ثانياً** : وسائل علاجية .

الوسائل الوقائية . . .

أما الوسائل الوقائية فقد حصرها الباحث في خمس وسائل وهي :

١ ـ **تحريم الربا وفلسفته** : فالربا إلى جانب أنه يهدم مبدأ التعاون في المجتمع فهو يشيع الأمراض الأخلاقية ، ويؤدي إلى تكدس الثروة ، وإلى الفقر الإجباري ، والغنى بدون حق ، وهو يتنافى مع القانون الإسلامي الاقتصادي الذي يقول : لا جزاء بغير جهد ، كذلك يؤدي الربا إلى زيادة تكاليف الإنتاج ، وبالتالي ارتفاع السلع والخدمات ، وينطوي على تعطيل القوى الإنتاجية في المجتمع .

٢ ـ **تحريم القمار والاحتكار والغش في المعاملات** : وهي الوسائل التي تؤدي إلى تراكم الثروة في أيدي فئة قليلة ، وتؤدي إلى اتساع الفوارق بين الأفراد .

٣ ـ **تحريم الترف والإسراف والاكتناز** ، والإسلام يريد بذلك أن يرفع من مستوى الطبقات الفقيرة ، ويقيم التوازن المنشود بين الناس .

٤ ـ **الحجر على السفهاء صيانة لأموال المجتمع** .

٥ ـ **إعفاء الفقراء من الأعباء المالية** حتى إعفائهم من ركنين من أركان الإسلام ، وهما الزكاة والحج لعدم قدرتهم .

الوسائل العلاجية . . .

ويحصرها الباحث في سبع وسائل وهي :

١ ـ بغض الفقر والتعوذ منه ، وفي الحديث :

« اللهم إني أعوذ بك من الفقر والقلة والذلة وأعوذ بك من أن أَظلِمَ أو أُظْلَم » .

وفي حديث آخر قرن الفقر في التعوذ بالكفر :

« **اللهم إني أعوذ بك من الكفر والفقر . فقال رجل : أيعدلان ؟ قال : نعم** » .

٢ ـ دعا الإسلام إلى أمضى الأسلحة لعلاج هذه المشكلة .. وهو العمل ، وحث **الرسول** ﷺ على العمل والإنتاج المتواصل في أحرج اللحظات :

« **إن قامت الساعة وفي يد أحدكم فسيلة فإن استطاع ألا تقوم حتى يغرسها فليغرسها** » .

٣ ـ معالجة الفقر اجتماعياً بكفالة الموسرين من الأقارب للمعوزين ، وأن النفقة على الأقارب من مميزات الإسلام التي ينفرد بها وحده عن الشرائع القديمة والقوانين الوضعية .

٤ ـ فرض الزكاة وهي معالجة اجتماعية للفقر ، وهي تحفز المرء إلى العمل والإنتاج والاستثمار ، وتؤدي إلى إعادة توزيع الدخل والثروة ، والزكاة تفضي إلى التقريب بين الطبقات وتشيع الأمن العام في المجتمع .

٥ ـ الوسيلة الخامسة تتمثل في كفالة الخزانة الإسلامية العامة بمختلف مواردها للفقراء وذوي الحاجات .

٦ ـ من الواجبات الأخرى التي أقرها الإسلام إلى جانب الزكاة **صدقة الفطر ، والأضحية ، والكفارات ، والفدية** ، وجعل الإسلام كفارة كثير من الذنوب إطعام الفقراء والمساكين ويعد هذا مورداً كبيراً لمشاريع التكافل الاجتماعي .

٧ ـ ومن وسائل الإسلام لعلاج الفقر .. الصدقات الاختيارية والإحسان الفردي ، فضلاً عن الخدمات الاجتماعية التي أقرها الإسلام ، مثل الوقف وهو نظام اجتماعي عظيم النفع انفرد به التشريع الإسلامي ويعد مفخرة له .

كما شرع الإسلام الوصية كمشروع علاجي لمرض الفقر ، وكذلك القرض والميراث ، وهو يعد من وسائل الإسلام الوقائية للفقر حيث توزع الثروة بين أكبر عدد من الورثة فلا تتكدس في يد واحد دون الآخر .

نتائج البحث . . .

ويصل الباحث في النهاية إلى النتيجة المنطقية لبحثه ودراسته ، وهي أن مشكلة الفقر وقد أصبحت قضية الشعوب في أنحاء الأرض ، وأعمل فيها الباحثون والمفكرون عقولهم ، هذه المشكلة لا علاج لها في الواقع ولغيرها من مشكلات الحياة إلا الإسلام ..

فكل ما قدمه المفكرون والمصلحون من حلول لمشكلة الفقر لا يعد أن يكون مسكنات موضعية أو إسعافات وقتية .

ولهذا ينصح الباحث هؤلاء المفكرين ، كما ينصح الحكومات في كل مكان بالرجوع إلى الإسلام لحل مشكلات العالم الاجتماعية والاقتصادية والسياسية ، فالإسلام هو الشفاء لكل داء ، وهو النور في ظلمات الحيرة .. وصدق الله العظيم إذ يقول :

﴿ ... قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ . يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ (المائدة : ١٥-١٦) .

[صدق الله العظيم]

موقف الآخرين من الفقر :

- **اليهودية والنصرانية اكتفيا بإسداء النصح والمواعظ للأغنياء والفقراء .**
- **النظام الشيوعي يحارب الغنى ويعمم الفقر ، والنظام الرأسمالي يحبذ الغنى المطغي**